

سورة النجم

معانى الكلمات :

هوى : غرب وسقط .

ضل : انحرف .

مرة : قوة أو خلق حسن .

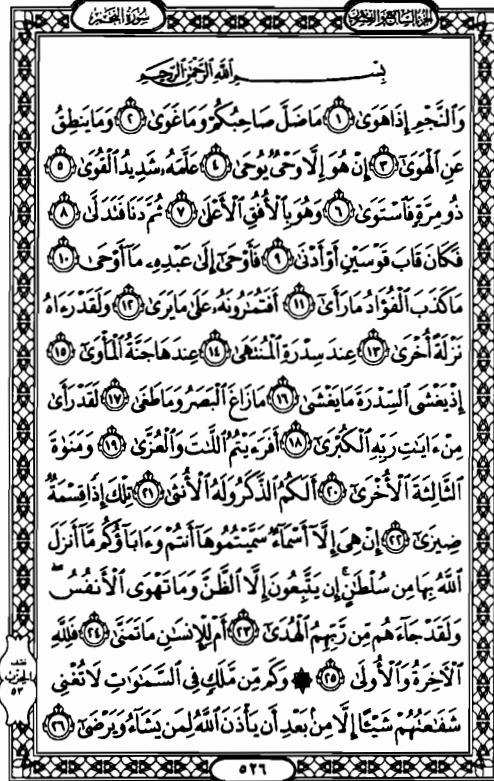
تدلى : زاد فى القرب .

أفتارونه : أفتجادلونه .

يغشى : يغطى .

زاغ : مال .

ضيضى : ظالمة عوج وغير عادلة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أمر النبي ﷺ مع الوحي .

٢ - أن نعلم أن العقيدة لا مجال فيها للظن والهوى .

٣ - أن نستشعر يقيناً أن الأمر كله لله ، فله الآخرة والأولى .

المحتوى التربوي :

تبدأ السورة فى وصف موحى بقسم من الله سبحانه بالنجم وقت هويه ، وحركة تلؤلؤ النجم ثم هويه ودنوه أشبه بمشهد جبريل المقسم عليه فهو فى الأفق الأعلى ثم دنا فتدلى ، وقد رويت تفسيرات مختلفة للنجم المقصود فى هذا القسم ، ما يرد على الذهن أنها إشاره إلى الشعرى التى كان بعضهم يعبدها وقد كان للشعرى من اهتمام الأقدمين حظ كبير .

ذلك هو القسم ، فأما المقسم عليه ، فهو أمر النبي ﷺ مع الوحي الذى يحدثهم عنه ؛ فصاحبكم راشد غير ضال، مهتد غير غاو ، مخلص غير مغرض ، مبلغ بالحق عن الحق غير واهم ولا مفتر ولا مبتدع ، ولا ناطق عن الهوى فيما يبلغكم من الرسالة ، إن هو إلا وحي يوحى ، وهو يبلغكم ما يوحى إليه صادقا أميناً .

هذا الوحي معروف حامله ، مستيقن طريقه ، مشهودة رحلته ، رآه الرسول ﷺ رأى العين والقلب ، فلم يكن واحدا ولا مخدوعا ، والشديد القوى هو جبريل عليه السلام ، وهو الذى علم صاحبكم ما بلغه إليكم وهذا هو الطريق ، وهذه هى الرحلة مشهودة بدقائقها : استوى وهو بالأفق الأعلى ، حيث رآه محمد ﷺ وكان ذلك فى مبدأ الوحي حين رآه على صورته التى خلقه الله عليها ، يسد الأفق بخلقه الهائل ، ثم دنا منه فتدلى نازلا مقتربا إليه ، فكان أقرب ما يكون منه على بعد ما بين القوسين أو أدنى وهو تعبير عن منتهى القرب فأوحى إلى عبد الله ما أوحى ، بهذا الإجمال والتفخيم والتهويل .

فهى رؤية من قرب بعد الترائى عن بعد ، وهو وحي تعليم ومشاهدة وتيقن ، وهى حال لا يتأتى معها كذب فى الرؤية ، ولا تحتمل ممارسة أو مجادلة ، ورؤية الفؤاد أصدق وأثبت ؛ لأنها تنفى خداع النظر فتثبت ، فاستيقن فؤاده أنه الملك ، حامل الوحي ، رسول ربه إليه ليعلمه ويكلفه تبليغ ما يعلم ، وانتهى المراد والجدال فما عاد لهما مكان بعد تثبيت القلب ويقين الفؤاد ، وليست هى المرة الوحيدة التى رآه فيها على صورته ، فقد تكررت مرة أخرى وكان ذلك فى ليلة الإسراء والمعراج على الراجح من الروايات - فقد دنا منه وهو على هيئة التى خلقه الله بها مرة أخرى عند السدرة التى إليها منتهى المطاف فجنة المأوى عندها .

ويذكر ما لا بس هذه الرؤية عند سدره المنتهى ، زيادة فى التوكيد واليقين ، مما لا يفصله ولا يحدده فقد كان أهول وأضخم من الوصف والتحديد ، وكان ذلك كله حقا يقينا ، فلم يكن زغللة عين ولا تجاوز رؤية .

إنما هى المشاهدة الواضحة المحققة التى لا تحتمل شكاً ولا ظناً ، وقد عاين فيها من آيات ربه الكبرى ، واتصل قلبه بالحقيقة عارية مباشرة مكشوفة ، فالأمر إذن - أمر الوحي - أمر عيان مشهود ، ورؤية محققة واتصال مباشر .

فأما هم فعلام يستندون فى عبادتهم وآلهتهم وأساطيرهم ؟ علام يستندون فى عبادتهم اللات والعزى ومناة ؟ وفى ادعائهم الغامض أنها ملائكة ، وأن الملائكة بنات الله ؟ وأن لها شفاعة ترغى عند الله ؟ إلى أى بينة وإلى أى حجة وإلى أى سلطان يرتكزون فى هذه الأوهام ؟

ولما ذكر الله هذه المعبودات الثلاث : اللات والعزى ومناة ، معجبا منها ومن عبادتها كما تفيد صيغة السؤال ، والتعجب والتشهير واضح فى افتتاح السؤال أفرايتم ؟ وفى الحديث عن مناة الثالثة الأخرى ، لما ذكر الله هذه المعبودات عقب عليها باستنكار دعواهم أن الله الإناث وأن لهم الذكور ، وقد كانوا يكرهون ولادة البنات لهم ، ومع هذا لم يستحيوا أن يجعلوا الملائكة إناثا - وهم لا يعلمون عنهم شيئا يلزمهم بهذا التصور ، وأن ينسبوا هؤلاء الإناث إلى الله ، والله سبحانه - يأخذهم هنا بتصوراتهم وأساطيرهم ويسخر منها ومنهم ، إنها قسمة غير عادلة قسمتمكم بين أنفسكم وبين الله .

والمسألة كلها وهم لا أساس له من العلم ولا من الواقع ، ولا حجة فيها ولا دليل فهذه الأسماء اللات والعزة ومناة وغيرها ، وتسميتها آلهة ، وتسميتها ملائكة ، وتسمية الملائكة إناثا وتسمية الإناث بنات الله كلها أسماء لا مدلول لها ، ولا حقيقة وراءها ، ولم يجعل الله لكم حجة فيها ، وكل ما لم يقرره الله فلا قوة فيه ولا سلطان له ؛ لأنه لا حقيقة له .

ويلتفت عنهم كأنهم لا وجود لهم ، ويتحدث عنهم بصيغة الغائب ، فهم لا حجة لهم إنما هو الظن يقيمون عليه العقيدة ، والهوى يستمدون منه الدليل ، والعقيدة لا مجال فيها للظن والهوى ، ولا بد فيها من اليقين القاطع والتجرد من الهوى والغرض ، وهم لم يتبعوا الظن ولهم عذر أو علة فانقطع العذر وبطل التعلل .

ثم يبحث بعد ذلك عن مبرر لما يريد ، وهى شر حالة تصاب بها النفس فلا ينفعها الهدى ، ولا ينفعها الدليل ، ومن ثم يسأل فى استنكار . أكل ما يتمنى الإنسان يتحول إلى حقيقة وكل ما يهوى يتقلب إلى واقع ؟ والأمر ليس كذلك فإن الحق حق والواقع واقع ، وهو النفس ومناها لا يغيران ولا يبدلان فى الحقائق ، إنما يضل الإنسان بهواه ويهلك بمناه ، وهو أضعف من أن يغير أو يبدل فى طبائع الأشياء ، وإنما الأمر كله لله يتصرف فيه كما يشاء فى الدنيا وفى الآخرة سواء ، وإذا خلص الأمر كله فى الآخرة والأولى ، فإن أوهام المشركين عن شفاعة الآلهة المدعاة - من الملائكة لهم عند الله لا أصل لها ، فالملائكة الحقة فى الساء لا تملك الشفاعة إلا حين يأذن الله فى شىء منها .

ومن ثم تسقط دعواهم من أساسها ، فوق ما فيها من بطلان تولى تنفيذه فى الآيات السابقة ، وتتجرد العقيدة من كل غبش أو شبهة ، فالأمر لله فى الآخرة والأولى ، ومضى الإنسان لا تغير من الحق الواقع شيئا ، والشفاعة لا تقبل الا بإذن من الله ورضا ، فالأمر إليه فى النهاية ، والاتجاه إليه وحده فى الآخرة والأولى ، فهو مالك الدنيا والآخرة ، والمتصرف فى الدنيا والآخرة فهو الذى ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

يقول القاسمى رحمه الله : « هذا توبيخ من الله تعالى لعبدة الأوثان بإقناعهم مما علقوا به أطماعهم من شفاعة أوثانهم ، بأن ملائكته الكرام لا يتفوهون بالشفاعة إلا من بعد إذنه ورضاه ، فأنى لهذه الطواغيت أن تفتات على هذا المقام ، ولها من الذلة والصغار وما يبعدها عنه بألف منزل . »

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً:

١ - يقسم الله تعالى بما يشاء من خلقه ، أما الخلق فلا يجوز لهم أن يحلفوا إلا بالله تعالى ، تعظيما له وتقديسا دون غيره .

٢ - إكرام الله تعالى لنبيه ﷺ بإجابة دعائه ورفعته إلى السموات ، وإعطائه كثيراً من المعجزات .

٣ - الله تعالى يملك الدنيا والآخرة ، فعلى المسلم أن يتجه إليه فى الآخرة والأولى .

معاني الكلمات :

- الظن : الوهم .
 ضل : انحرف .
 اللمم : صفائر الذنوب .
 تزكوا : تمدحوا .
 وأكدي : قطعوا عطيته بخلاً .
 المتهى : المصير .
 وفى : أتم واكمل ما أمر به .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١- أن نعلم أن الإيمان بالله والإيمان بالآخرة مسألة أساسية في حياة البشرية .
- ٢- أن نتعرف على صفة المحسنين الذين يجزون الحسنى .
- ٣- أن نعلم أن الآخرة هى غاية الناس ، وأنها دار نعيم أو جحيم .

المحتوى التربوى :

يناقش السياق للمرة الأخيرة أوهام المشركين - الذين لا يؤمنون بالآخرة - عن الملائكة ، ويكشف عن أساسها الواهى الذى لا ينبغى أن تقوم عليه عقيدة أصلاً ، وهذا التعقيب الأخير يوحى بعلاقة اللات والعزى ومناة بأسطورة أنوثة الملائكة ونسبتهم إلى الله سبحانه ، وهى أسطورة واهية ، لا يتبعون فيها إلا الظن ، فليس لهم وسيلة لأن يعلموا شيئاً مستيقناً عن طبيعة الملائكة ، فأما نسبتهم إلى الله فهى الباطل الذى لا دليل عليه إلا الوهم الباطل ، وكل هذا الا يغنى من الحق ، ولا يقوم مقامه فى شيء .

ويتجه السياق بالخطاب إلى الرسول ﷺ ليهمل شأنهم ويعرض عنهم ، ويدع أمرهم لله الذي يعلم المسىء والمحسن ، ويجزى المهدي والضال ، ويملك أمر السموات والأرض ، وأمر الدنيا والآخرة ، ومحاسب بالعدل لا يظلم أحداً ، ويتجاوز عن الذنوب التي لا يصر عليها فاعلوها ، وهو الخبير بالنوايا والطوايا ؛ لأنه خالق البشر المطلع على حقيقتهم في أطوار حياتهم .

يقول صاحب الظلال : « هذا الأمر بالإعراض عمن تولى عن ذكر الله ، ولم يؤمن بالآخرة ، ولم يرد إلا الحياة الدنيا موجه ابتداء إلى الرسول ﷺ - وهو موجه بعد ذلك إلى كل مسلم يواجهه من يتولى عن ذكر الله ويعرض عن الإيمان ، ويجعل وجهته الحياة الدنيا وحدها ، لا ينظر إلى شيء وراءها ، ولا يؤمن بالآخرة ولا يحسب حسابها ، والمؤمن بالله بالآخرة لا يستطيع أن يشغل باله - فضلاً على أن يعامل أو يعايش - من يعرض عن ذكر الله وينفى الآخرة من حسابه ؛ لأن لكل منهما منهجا في الحياة لا يلتقيان في خطوة واحدة من خطواته ، إن المؤمن يعيث حين يحفل بشأن هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله ولا يريدون إلا الحياة الدنيا ، وينفق طاقته التي وهبها الله إياها في غير موضعها .

على أن للإعراض اتجاهها آخر ، هو التهوين من شأن هذه الفئة ، فئة الذين لا يؤمنون بالله ولا يتغنون شيئاً وراء الحياة الدنيا ، فمهما كان شأنهم فهم محجوبون عن الحقيقة ، قاصرون عن إدراكها واقفون وراء الأسوار ، أسوار الحياة الدنيا ، وهو مبلغ من العلم تافه مهما بدا عظيماً .

وقد علم الله أن هؤلاء ضالون ، فلم يرد لنبيه ولا للمهتدين من أمة أن يشغلوا أنفسهم بشأن الضالين ، ولا أن يصاحبوهم ، ولا أن يخدعوا في ظاهر علمهم المضلل القاصر ، الذي يقف عن حدود الحياة الدنيا ، والله هو الخالق لجميع المخلوقات ، والعالم بمصالح عباده ، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته ، وهو العادل الذي لا يجوز أبداً لا في شرعه ولا في قدره ، وإنما لمسألة كبيرة هذا الإيمان بالله والإيمان بالآخرة ، مسألة أساسية في حياة البشر إنها حاجات أكبر من حاجات الطعام والشراب والكساء ، وإنما إما أن تكون فيكون الإنسان ، وإما ألا تكون فهو حيوان من ذلك الحيوان .

ويأتى التقرير للملكية الله وحده - لما في السموات وما في الأرض ، يمنح قضية الآخرة قوة وتأثيراً ، فالذي جعل الآخرة وقدرها هو الذي يملك ما في السموات وما في الأرض وحده ، فهو القادر على الجزاء ، المختص به ، المالك للأسبابه ، ومن شأن هذه الملكية أن تحقق الجزاء الكامل العادل ، فيجازى كلا بعلمه إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

ثم يحدد الذين أحسنوا هؤلاء ويميزهم بالحسنى فهم لا يتعاطون المحرمات والكبائر ، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإن الله يغفر لهم ويستر عليهم ، وذكر سعة المغفرة يناسب أن يكون

اللمم هو الإتيان بالكبائر والفواحش ، ثم يتوبون ولا يعودون ، وختمت الآية بأن هذا الجزاء بالسوء .

وبالحسنى مستنداً إلى علم الله بحقيقة دخائل الناس في أطوارهم كلها ، وهو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التى تصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ آباكم آدم من الأرض ، واستخراج ذريته من صلبه أمثال الذر ، ثم قسمهم فريقين : فريقاً للجنة ، وفريقاً للسعير ، وما هو بحاجة إلى أن تدلوه على أنفسكم ، ولا أن تزنوا له أعمالكم ، فعنده العلم الكامل ، والميزان الدقيق ، وجزاؤه العدل وقوله الفصل وإليه يرجع الأمر كله .

ثم يقرر الحقائق الأساسية للعقيدة كما هى ثابتة منذ إبراهيم صاحب الحنيفة الأولى ، ويعرف البشر بخالقهم ، وذلك الذى أنفق قليلاً في سبيل الله ثم انقطع عن البذل خوفاً من الفقر ، أعند هذا الذى أمسك خشية الإنفاق وقطع معروفة علم الغيب أنه سينفذ ما في يده ، حتى أمسك عن معروفة ، وليس الأمر كذلك بل أمسك بخلاء وشحا وهلعا .

وهذا الدين قديم موصولة أوائله وأواخره ، يصدق بعضه على توالى الرسالات والرسل ، فهو في صحف موسى ، وهو في ملة إبراهيم قبل موسى ، إبراهيم الذى وفى بكل شيء ، ففى صحف إبراهيم وموسى أن كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنها عليها وزرها ، لا يحمله عنها أحد ، كما لا يحمل عليها غيره ، وسعيه في الدنيا سوف يراه في الآخرة ويجازى عليه إن خيراً فخير وإن شراً شر .

وبيّن السياق أن المعاد إلى الله وإلى الجنة أو النار ، وأن الله قد أودع الإنسان خاصية الضحك والبكاء ، وجعل في اللحظة الواحدة ضاحكين وباكين ، وقد يضحك فريق مما يبكى منه فريق ، وأضحك وأبكى من الأمر الواحد صاحبه نفسه ، يضحك اليوم من الأمر ثم تواجه عاقبته غداً فإذا هو باك ، وكم من ضاحك في الدنيا باك في الآخرة .

وهو الذى أنشأ الموت والحياة ، ففى هذه اللحظة كم ملايين الملايين من الأحياء ماتت ، وكم ملايين الملايين بدأت رحلة الحياة ، ودب فيها هذا السر من حيث لا تعلم ومن حيث لا يعلم أحد إلا الله ! وكم من ميتات وقعت فإذا هى ذاتها بواعث حياة .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - العقيدة الصحيحة يجب أن تقوم على أساس متين وعل يقين لا يحمل الشك .

٢ - كل إنسان مرتبط بعمله ، وسوف ينال جزاء عادلاً من الله تعالى على أعماله .

٣ - لا يجوز للإنسان أن يمدح نفسه ، ولا أن يعجب بأعماله مهما كانت عظيمة ، وإنما يجب أن يتواضع لله .

معاني الكلمات :

الزوجين : الصنفين .

تمنى : تدفق في الرحم .

أقنى : أفقر .

الشعرى : كوكب معروف كانوا يعبدونه

في الجاهلية .

عادا الأولى : قوم هود عليه السلام .

المؤتفة : قرى قوم لوط .

أزفت : اقتربت .

سامدون : لاهون غافلون .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم بعض مظاهر قدرة الله تعالى .

٢ - أن نتعلم الاعتبار بمصارع الغابرين .

٣ - أن نتعرف على معجزة انشقاق القمر ، وهو نذير ليوم القيامة .

المحتوى التربوي :

يمضى السياق في عرض بعض مظاهر القدرة الإلهية ، وأن الله خلق الزوجين ، وهى الحقيقة الهائلة الواقعة المتكررة في كل لحظة ، فينساها الإنسان لتكرارها أمام عينيه وهى أعجب من كل عجيبة ؛ نطفة تمنى ، تراق .. إفرازات من إفرازات هذا الجسد الإنسانى الكثيرة كالعرق والدمع والمخاط ، فإذا هى بعد فترة مقدورة في تدبير الله ، إذا هى ماذا ؟ إذا هى إنسان ، وإذا هذا الإنسان ذكر أو أنثى ، وأى قلب بشرى يقف أمام هذه الحقيقة الهائلة العجيبة .

ومن النشأة الأولى يتجه مباشرة إلى النشأة الأخرى ، والنشأة الأخرى غيب ولكن عليه من النشأة الأولى دليل على إمكان الوقوع ؛ فالذى خلق الزوجين قادر على إعادة الخلق ، ودليل على

حكمة الوقوع ؛ فهذا التدبير الخفى الذى يقود الخلية الحية الصغيرة فى طريقها الطويل الشاق حتى تكون ذكراً أو أنثى ، هذا التدبير لابد أن يكون مداه أبعد من رحلة الأرض التى لا يتم فيها شئ كامل ؛ لأن فى حساب هذا التدبير نشأة أخرى يبلغ فيها كل شئ تمامه ، فدلالة النشأة الأولى مع النشأة الأخرى مزدوجة ، ومن هنا جاء ذكرها هكذا قبل النشأة الأخرى .

وفى النشأة الأولى ، وفى النشأة الأخرى يغنى الله من يشاء من عباده ويقنيه ، أغنى من عباده من شاء فى الدنيا بأنواع الغنى وهى شتى : غنى المال . وغنى الصحة . وغنى الذرية . وغنى النفس وغنى الفكر وغنى الصلة بالله والزاد الذى ليس مثله زاد ، وأغنى من عباده من شاء فى الآخرة من غنى الآخرة ، وأفقر من شاء من عباده ، والله عز وجل رب الشعرى نجم أثقل من الشمس ، وقد كان هناك من يعبد هذا النجم .

وينتقل السياق إلى جولة سريعة فى مصارع الغابرين بعد ما جاءتهم النذر فكذبوا بها كما يكذب المشركون ، وعاد وثمود وقوم نوح يعرفهم قارئ القرآن فى مواضع شتى ، والمؤتفكة هى أمة لوط من الإفك والبهتان والضلال ، وقد أهواها فى الهاوية وخسف بها خسفاً يشمل كل شئ ويغشاه فلا يبين ، ولقد كانت إذن تلك المصارع آلاء الله وأفضالا ألم يهلك البشر ؟ ألم يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ؟ ألم يترك فيها آيات الله لمن يتدبر ويعى ؟ أليست هذه كلها آلاء ، ففى أى نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري ؟

وتلقى صيحة الخطر قبيل الطامة الكبرى ، فهذا الرسول الذى تتهاونون فى رسالته وفى نذارته ، هذا نذير من النذر الأولى التى أعقبها ما أعقبها ، وقد أزفت الآزفة واقتربت كاسحة جارفة ، وهى الطامة والقارعة التى جاء هذا النذير يحذركم إياها أو هول العذاب الذى لا يعلم إلا الله نوعه وموعده ، ولا يملك إلا الله كشفه ودفعه ، وبينما الخطر الداهم قريب ، والنذير الناصح يدعوكم إلى النجاة ، إذا أنتم سادرون لا هون لا تقدرون الموقف ولا تفيقون ، فمم تعجبون ، ومم تضحكون ؟ مع هذا الجد الصارم ، وهنا يهتف بهم إلى ما ينبغى أن يتداركوا به أنفسهم وهم على حافة الهاوية ، فاخضعوا له وأخلصوا له ووجدوا ، ومن ثم سجدوا ، وهم مشركون ، وهم يبارون فى الوحي والقرآن وهم يجادلون فى الله والرسول ! لا يملكون أن يقاوموا وقع هذا القرآن ، ولا أن يتهاسكوا لهذا السلطان .

سورة القمر

يبدأ السياق بذكر اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها ، وانشقاق القمر ، ولقد رأوا الحدث الأول فلم يبق إلا أن ينتظروا الحدث الأكبر ، والروايات عن انشقاق القمر ورؤية